

الوافي في الوفيات

قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلّكان C تعالى : وكنت مرة رأيت في المنام سنة ثمانٍ وأربعين وستمئة وأنا يومئذٍ بالقاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهدٍ بها فوجدته شعثاً وهو مارةٌ قديمةٌ ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين فسألتهم عن المشهد وأنا متعجبٌ لائقان بنيانه وتشيدته : ترى هذه عمارة من ؟ فقالوا : لا نعلم ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا علي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدةً وتفاوضنا حديثه فقال : وله مع فضائله شعرٌ حسنٌ فقلت : ما وقفت له على شعرٍ فقال : أنا أنشد له من شعره ثم أنشد بصوتٍ رقيقٍ ثلاثة أبيات فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذّةٌ صوته في أذني وعلق على خاطري منها هذا البيت الأخير وهو : من البسيط .

الناس في الخير لا يرضون عن أحدٍ ... فكيف طنك سيموا الشرّ - أو ساموا .
وأبو عليّ أخذ النحو عن جماعةٍ من أعيان هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر السّرّاج وأبي بكر مبرمان وأبي بكر الخياط وبرع له غلمان حدّاقٌ قرأوا عليه مثل عثمان بن جدّي وعليّ بن عيسى الرّبيعي وقال أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحويّ في كتاب شرح الجمل للزجاجي في باب التصريف منه : يحكى عن أبي علي الفارسي أنه حضر يوماً مجلس أبي بكر الخياط فأقبل أصحابه على أبي بكرٍ يكثرّون عليه المسائل وهو يجيبهم ويقم الدلائل فلما أنفذوا أقبل على أكبرهم سناً وأكثرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه فقال له : كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت فأجابه مسرعاً سفرروت فحين سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه وخرج وهو يقول : سفرروت سفرروت سفرروت فأقبل أبو بكرٍ على أصحابه وقال : لا بارك الله فيكم ولا أحسن جزاكم خلاًّ مما جرى واستحيى من أبي علي . ومما يشهد بصفاء ذهن أبي عليّ أنه سئل قبل أن ينظر في العروض خرم متفاعلاً متفكّراً وانتزع الجواب فيه من النحو فقال لا يجوز لأنّ - متفاعلاً ينقل إلى مستفعلاً إذا خبن فلو خرم لتعرّض للابتداء بالسّاكّن وكما لا يجوز الابتداء بالسّاكّن لا يجوز التعرّض له هنا . والخرم حذف الحرف الأول من البيت والخبن تسكين ثانية وقيل إنّ أبا علي لما صدّف الإيضاح وحمله إلى عضد الدولة قال له : ما زدت على ما أعرف شيئاً وإنما يصلح هذا للصبيان فمضى أبو علي وصدّف التكملة وحملها إليه فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو . وكان يرمى بالاعتزال . وحكى ابن جني عن أبي علي أنه كان يقول : أخطء في مائة مسألة لغوية ولا أخطء في واحدة قياسيّة . وكان أبو طالب العبدي يقول : ليس بين سيبويه وأبي علي أبصر بالنحو من أبي علي . وكان بعض تلامذته يفضّله على المبرّد .

وتوفّي سنة سبع وسبعين وثلاثمئة في شهر بيع الأول . ومن تصانيفه : كتاب الحجّـة كتاب
التذكرة . الإيضاح الشعري الإيضاح النحوي أبيات الإعراب مختصر عوامل الإعراب المسائل
الحلبية المسائل البغدادية المسائل الشيرازية المسائل القصريّة الأغفال وهو مسائل
أصلحها على الزجاج المقصور والممدود نقض الهاذور الترجمة المسائل المنشورة المسائل
الدمشقية أبيات المعاني التتبّع لكلام أبي علي الجبّـائي في التفسير تفسير قوله تعالى
: إذا قمتم إلى الصلاة المسائل البصرية المسائل العسكرية المسائل المصلحة من كتاب ابن
السراج المسائل المشكلة المسائل الكرمانيّة المسائل العسكرية المسائل الذّهبيّة .
الحافظ أبو محمد السّـبّـيعي